الفرح ليس مهنتي

www.akhawia.net

من العتبة إلى السماء

الآن
والمطرُ الحزين
يغمرُ وجهي الحزين
أحلم بسلّم من الغبار
من الظهورِ المحدودبه
والراحاتِ المضغوطةِ على الركب
لأصعدَ إلى أعالي السماء
وأعرف
أين تذهبُ آهاتنا وصلواتنا ؟
آه يا حبيبتي
لابد أن تكون
كل الآهاتِ والصلوات
كل التنهدات والاستغاثات
المنطلقة
من ملايين الأفواه والصدور
وعبر آلاف السنين والقرون
متجمعةً في مكانٍ ما من السماء . . . كالغيوم

www.akhawia.net

ولربما
كانت كلماتي الآن
قربَ كلماتِ المسيح
فلننتظر بكاء السماء
يا حبيبتي

حلم

منذ أن خُلقَ البردُ والأبواب المغلقه
وأنا أمدّ يدي كالأعمى
بحثاً عن جدار
أو امرأةٍ تؤويني
ولكن ماذا تفعل الغزالةُ العمياء
بالنبع الجاري ؟
والبلبلُ الأسير
بالأفقِ الذي يلامسُ قضبانه ؟

في عصر الذرةِ والعقولِ الالكترونيه
في زمنِ العطر والغناء والأضواءِ الخاقته
كنتُ أحدّثها عن حداءِ البدو
والسفر إلى الصحراء
على ظهورِ الجِمال
ونهداها يصغيان إليّ
كما يصغي الأطفال الصغار
لحديثٍ ممتعٍ حول الموقد

www.akhawia.net

كنا نحلم بالصحراء
كما يحلم الراهبُ بالمضاجعه
واليتيمُ بالمزمار
وكنتُ أقول لها وأنا أرسل
نظراتي إلى الأفق البعيد .
هناك نتكئُ على الرمال الزرقاء
وننام صامتَين حتى الصباح
لا لأن الكلماتِ قليله
ولكن لأن الفراشاتِ المتعبه
تنامُ على شفاهنا .
غداً يا حبيبتي غداً
نستيقظ مبكرين
مع الملاحين وأشرعة البحر
ونرتفعُ مع الريح كالطيور
كالدماءِ عند الغضب
ونهوي على الصحراء
كما يهوي الفمُ على الفم

ونمنا متعانقين طوال الليل
وأيدينا على حقائبنا
وفي الصباح أقْلَعْنا عن السفر
لأن الصحراء كانت في قلبينا .

الغجري المعلّب

بدون النظر إلى ساعة الحائط
أو مفكرةِ الجيب
أعرف مواعيد صراخي .
وأنا هائمٌ في الطرقات
أصافح هذا وأودّعُ ذاك
أنظر خلسةً إلى الشرفاتِ العاليه
إلى الأماكن التي ستبلغها أظافري وأسناني
في الثوراتِ المقبله
فأنا لم أجعْ صدفه
ولم أتشرّد ترفاً أو اعتباطاً
« ما من سنبلةٍ في التاريخ
إلا وعليها قطرةٌ من لُعابي » .

أعرفُ أن مستقبلي ظلام
وأنيابي شموع
أعرف أن حد الرغيف
سيغدو بصلابة الخنجر

www.akhawia.net

وأن نهرَ الجائعين سوفَ ينهدرُ ذات يوم
بأشرعتهِ الداميه
وفرائصه الغبراء
فأنا نبيٌّ لا ينقصني إلا اللحية والعكاز والصحراء
ولكنني سأظلُّ شاكي السلاح
في «قادسية العجين»
في «واترلو الحساء» التي يخوضها العالم
هكذا خلقني الله
سفينةً وعاصفه
غابةً وحطابا
زنجياً بمختلف الألوان كالشفق . كالربيع
في دمي رقصة الفالس
وفي عظامي عويلُ كربلاء
وما من قوةٍ في العالم
ترغمني على محبةِ ما لا أحبّ
وكراهية ما لا أكره
مادام هناك
تبغٌ وثقابٌ وشوارع . . .

أيها الماره
إخلوا الشوارعَ من العذارى
والنساء المحجبات . . .
سأخرجُ من بيتي عارياً
وأعودُ إلى غابتي .

محال . . محال
أن أتخيَّلُ نفسي
إلا نهراً في صحراء
أو سفينةً في بحر
أو . . قرداً في غابه
يقطفُ الثمار الفجّه
ويلقي بها على رؤوس الماره
وهو يقفزُ ضاحكاً مصفقاً
من غصنٍ إلى غصن .

أنا لا أحمل هويةً في جيبي

www.akhawia.net

ولا موعداً في ذاكرتي
أنا لم أجلسْ في مقهى
ولم أتسكعْ على رصيف
أنا طفل
ها أنا أمدُ جسدي بصعوبه
لأدفن أسناني اللبنية في شقوق الجدران
أنا شيخ
ها ظهري ينحني
والمارة يأخذون بيدي
أنا أمير
ها سيفي يتدلّى
وجوادي يصهلُ على التلال
أنا متسوّل
ها أنا أتسحذ أسناني على الأرصفه
وألحقُ المارة من شارع إلى شارع
أنا بطل . . أين شعبي ؟
أنا خائن . . أين مشنقتي ؟
أنا حذاء . . أين طريقي ؟

سلمية

سلمية : الدمعةُ التي ذرفها الرومان
على أوّلِ أسير فكَّ قيوده بأسنانه
ومات حنيناً إليها .
سلمية . . الطفلةُ التي تعثَّرتْ بطرف أوروبا
وهي تلهو بأقراطها الفاطميه
وشعرها الذهبي
وظلّتْ جاثيةً وباكيةً منذ ذلك الحين :
دميتُها في البحر
وأصابعها في الصحراء .

يحدُّها من الشمال الرعب
ومن الجنوب الحزن
ومن الشرق الغبار
ومن الغرب . . الأطلالُ والغربان
فصولُها متقابلةٌ أبداً
كعيون حزينةٍ في قطار .
نوافذها مفتوحةٌ أبداً

www.akhawia.net

كأفواهٍ تنادي . . أفواه تلبي النداء
في كل حفنةٍ من ترابها
جناحُ فراشة أو قيدُ أسير
حرفٌ للمتنبي أو سوط للحجاج
أسنانُ خليفة ، أو دمعةُ يتيم
زهورها لا تتفتَّحُ في الرمال
لأن الأشرعةَ مطويةٌ في براعمها
لسنابلها أطواقٌ من النمل
ولكنها لا تعرفُ الجوع أبداً
لأن أطفالها بعددِ غيومها
لكلِّ مصباح فراشه
ولكل خروفٍ جَرَس
ولكلِّ عجوز موقدٌ وعباءة
ولكنها حزينةٌ أبداً
لأن طيورها بلا مأوى

كلما هبَّ النسيم في الليل
ارتجفت ستائرها كالعيون المطروفه
كلما مرَّ قطارٌ في الليل
اهتزتْ بيوتها الحزينةُ المطفأه
كسلسلةٍ من الحقائب المعلقة في الريح
والنجومُ أصابع مفتوحة لالتقاطها
مفتوحة ـ منذ الأبد ـ لالتقاطها .

الحصار

دموعي زرقاء
من كثرةِ ما نظرتُ إلى السماء وبكيت
دموعي صفراء
من طولِ ما حلمتُ بالسنابلِ الذهبيةِ
وبكيت

فليذهبْ القادةُ إلى الحروب
والعشاقُ إلى الغابات
والعلماءُ إلى المختبرات
أما أنا
فسأبحث عن مسبحةٍ وكرسيٍّ عتيق . . .
لأعود كما كنت .
حاجباً قديماً على باب الخزن
ما دامت كل الكتب والدساتير والأديان
تؤكدُ أنني لن أموت ،
إلا جائعاً أو سجيناً

www.akhawia.net

المصحف الهجري

على هذه الأرصفةِ الحنونة كأمي
أضع يدي وأقسم بليالي الشتاء الطويله :
سأنتزعُ علم بلادي عن ساريته
وأخيط له أكماماً وأزرارا
وأرتديه كالقميص
إذا لم أعرفْ
في أيِّ خريفٍ تسقطُ أسمالي .
وإنني مع أول عاصفة تهبُّ على الوطن
سأصعد أحد التلال
القريبة من التاريخ
وأقذف سيفي إلى قبضةِ طارق
ورأسي إلى صدر الخنساء
وقلمي إلى أصابع المتنبي
وأجلس عارياً كالشجرة في الشتاء
حتى أعرف متى تنبتُ لنا
أهدابٌ جديدة ، ودموعٌ جديده
في الربيع ؟

وطني أيها الذئب الملوي كالشجرة إلى الوراء
إليك هذه «الصور الفوتوغرافية»
للمناسف والاهراءات
وهذه الطيور المغردة ، والأشرعة المسافره
على «طوابع البريد»
اليك هذه الجحافل المنتصره
والجياد الصاهلة على الزجاجِ المعشّق
ووبر السجاد
اليك هذه الأظافر المدّخره
في نهاية الأصابعِ كأموال اليتامى
بها سأكشطُ خطواتي عن الأرصفه
سأبتر قدميّ من فوق الكاحلين
وألقي بهما في الأنهار
في صناديق البريد
وأظل أقفزُ كالجندب
حتى يعود عهد الفروسية
والانذار قبل الطعنه .

www.akhawia.net

بدوي يبحث عن بلاد بدوية

أيها الفراشُ الباردُ والمظلم كالزقاق
آه كم أتمنى لو أشجّكَ بفأس
أين الشفاهُ التي قبلتها ؟
والنهودُ التي داعبتْها ؟
كأنّ القدرَ يصوّبُ مسدساً إلى ظهري
ويسلبني كلّ شيء في وضح النهار .

آه كم أتمنى . . لو أستيقظُ ذات صباح
فأرى المقاهي والمدارس والجامعات
مستنقعاتٍ وطحالبَ ساكنه
خياماً تنبحُ حولها الكلاب
لأجدَ المدن والحدائق والبرلمانات
كثباناً رمليه
آباراً ينتشل الأعراب ماءهم منها بالدلاء .

آه كم أتمنى لو أكونُ في هذه اللحظه
محموماً في قرية بعيده

على سريرٍ غريب
وتحتَ سقفٍ غريب
وامرأة عجوز لم تقع عيناي عليها من قبل
تسألني :
وهي تعصرُ منديلها المبلّل فوق جبيني :
من أي بلاد أنت يا بني ؟
فأجيبها والدموعُ تملأ عيني :
آه يا جدتي . . . . . .

www.akhawia.net

أمير من المطر، وحاشية من الغبار

١ ـ الشبح الصغير

أنت يا من تداعبُ خيوط المطر
كالنساجِ الأعمى
وتتلَمسُ بقايا الجداول الزرقاء
كضريرٍ يتعرّف على ملامحِ أحفاده
من أنت ؟
أيتها الشوارع
أيتها الحانات
من هذا الشبحُ الراقدُ على الأرصفه
والنمل
يتجاذبُ مسبحته ومنديله
وخصلاتِ شعره ؟
ـ انه بردى
ـ بردى ؟
لا أذكر أخاً أو صديقاً بهذا الاسم
أهو صندوقٌ أم جدار ؟

ـ مولاي
انه بردى . . .
النهر الذي ترافقه الزهور العطشى
من نبعه إلى مصبّه
ـ ليراجعُني غداً
في مكتبي القائم بين الأرصفه
علّني أجد له ميتماً بحرياً
أو سحابةً شمطاء تتبناه
ـ مولاي
انه ليس متسولاً يا مولاي
انه بردى . . .
بردى الألثغُ الصغير
كَبُرَ وشبَ
واهترأتْ مريلتُهُ الخضراء على صدره
ولم يعدْ يغادر مجراه
حتى في الليالي المقمره
حتى في أيام العُطل والآحاد
انه يعتذر عن جريانه القديم . . .
يضمُّ راحتيه إلى صدره
ويفتحهما باكياً ، كالراهبة المغتصبه
من أجل سفينةٍ ورقيه
أو سنونو . . يرشف ماءه ويطير !
ـ ليكنْ

www.akhawia.net

لقد وهبه الله
كل ما يحلم به نهرٌ صغير
من الطبقة المتوسطه
الوحل والبعوض والربيع
ولكنه أتى على كل شيء
في حقيبةٍ واحده
أروع مطرٍ في التاريخ
أجمل سحب الشرق العاليه
بدَدها على الغرغرةِ وغسلِ الموتى
ليراجعْني غداً
في مكتبي القائم بين الرياح
وطلبُ الاسترحام
ملصوقٌ على ضفتيه
ان جند النسر المعلّقِ على الحائط
لا يثيرُ شفقتي
بل يذكّرني
بدمِ أشلائه وصرخات ضحاياه

٢ـ الشبح الكبير

وأنت يا جدتي الحزينه
ماذا تفعلين في مثل هذه الساعه
بملاءتك المرقعةِ وسالفيك الأشيبين ؟
هل أضعتِ مسبحتك
وأنت تنقلينها من جيبٍ إلى جيب ؟
أم طردك أحفادُك
وأنتِ منهمكةٌ في القيل والقالِ ومضغ المخللات ؟
أيتها الأرض
أيتها السماء
من هذه العجوز الجامدةُ عند المنعطف ؟
والبعوضُ يحوم فوق رأسها
كأنه مصباحٌ أو مستنقع !!
إنها لا تسألُ ولا تجيب
وإنما تهزُّ رأسها يمنةً ويسره
وهي تعلكُ حجابها المبلّل بالدمع .
ـ انها دمشق
ـ دمشق ؟ لا أعرفُ أماً أو شقيقةً بهذا الاسم
أهي خزانةٌ أم مطرقةٌ أم مرآة ؟ ؟
ـ انها مدينتك يا مولاي
ـ مدينتي ؟ لا مدينة لي سوى جيوبي
ـ مدينتُك وطنك . .

www.akhawia.net

- وطني ؟ لا وطن لي
سوى هذه البقع والخربشات على الحرائط
وهذا الدخانُ الذي أنفثه من
شفتي كل لحظة . .
- بلى يا مولاي
تذكر الحواري الضيقة وأشباح المقابر
لحم الجمل وأزهارَ اللوز
تذكّر الصباحاتِ الباردة
والأيدي المحمرَّة من صقيعِ المساطر
وابر الجدّات المسنّات .
- بلى . بلى
تذكرتُها
دمشق المناسفِ والاهراءات
دمشق البيضه المسلوقه
والرغيف المطوي « بعناية » في حقيبةِ المدرسه
دمشق الخيول الجامحه
والسفن التي تسد وجه الأفقْ
دمشق الغبار
والدراجة المسنودة على الحائط
دمشق النجوم والمشاعل المضاءة على ذرى الأورال
دمشق الليل . . والقنديل المطفأ بالشفتين
دمشق الحداء والخناجر الممسوحة برايات كسرى
دمشق التأتأه

والبصمات المهسوحة بالركب وقوائم الطاولات .
دمشق المنتصبة على شواطئ الأطلسي
دمشق المحدودبه أمام الصنبور
دمشق الوحل ، النجوم ، فقاقيع الحمى
أشلاء الثوار
اضربوها بالحجاره
دعوا الأطفال يتحلّقون حولها
والسنتهم ناتئةٌ من بين الأسنان
ليعلّقوا في ملاءتها صفائحَ التنك
وهم يرقصون ضاحكين هازئين
عندما انتزعوني من سريري الغافي .
وأنا أغطّ كفراشةٍ على زهرة
ورحتُ أنبش آلاف السنين
كحشرةٍ مقلوبةٍ على ظهرها
تشبثتُ بجدرانها
بحلقاتِ أبوابها
بلحى شيوخها وأثداءِ نسائها
وأنا أنظر إليها باكياً متوسلاً
كما كان العبدُ المطوق بالحراب
ينظر إلى أمه الطبيعه .
قلت لها عطشانٌ يا دمشق
قالت : اشربْ دموعك
قلت لها : جوعانٌ يا دمشق

www.akhawia.net

قالت : كلُّ حذائي .
ـ وماذا قلت لها
ـ لا شيء
أطرقتْ في الأرصفة وبكيت .
ـ والآن
ـ والآن قولوا لها ان الأغنيةَ التي غادرتْ حنجرتها
قبل آلاف السنين
قد بلغتْ حافةَ القيثاره
وأن الأصابعَ التي كانت تُبَتِّر
مع الأغصان الزائده
عن أسوار الحصون والقلاع
تتجمّعُ الآن على هوامش الصفحات
تجمُّعَ البحارةِ على الشواطئ
قولوا لها كلَّ شيء يا رجال
باسم الآباء والأجداد
باسم القطط والكلاب
ولكن ليس باسمي
سأظلُّ مع القضايا الخاسرة حتى الموت
سأظل مع الأغصان الجرداء حتى تزهر
مع دمشق القديمة كملامحي
مع العتبات الرطبه
والسعال المصطنع قبل دخول الأبواب
كيف أهجرها

وقدماي منغرستانِ في أرصفتها
كنابين في لثّة
كيف أنساها
وقد تركت آثارها على جلدي وصفحاتي
كما يترك التبغ آثاره على الاصبعين :
كما يطلُّ النسر على فراخه
كنت أطلُّ على أرصفتها كل صباح
ما من حصاةٍ في الطريق
إلا وقذفتها بقدمي
ما من صنبورٍ في حاراتها الضيقه
إلا وشربت منه بفمي
ما من حارسٍ ليليّ أو بائع صبار
في لياليها المقمره
إلا وسامرتُهُ وسامرني
ما من مزلاجٍ في أبوابها العتيقه
إلا وداعبته بجبهتي وأصابعي
ولكن ما من بابٍ مغلق
فتح ذات ليله
وقال أهلاً أيها الغريب
اضربوها بالسياط
اطردوها من الأبواب
والكتب والخانات والأعراس والمآتم
وأغلقوا في وجهها كل أبواب العالم

www.akhawia.net

لتظلّ وحيدة كالريح . . . كالله
ولكن
اسملوا عينيّ قبل أن تفعلوا ذلك
إنني أحبُها يا رجال
ولن أخونها
ولو ذرفت الكسور الدّورية للدموع .

الظل والهجير

كلُّ حقولِ العالم
ضدّ شفتين صغيرتين
كل شوارع التاريخ
ضدّ قدمين حافيتين

حبيبتي
هم يسافرون ونحن ننتظر
هم يملكون المشانق
ونحن نملك الأعناق
هم يملكون اللآلئ
ونحن نملكُ النَّمَشَ والتواليل
هم يملكون الليل والفجر والعصر والنهار
ونحن نملك الجلد والعظام .

نزرعُ في الهجير ويأكلون في الظل
أسنانهم بيضاء كالأرز
وأسناننا موحشةٌ كالغابات

www.akhawia.net

صدورهم ناعمةٌ كالحرير
وصدورنا غبراء كساحات الاعدام
ومع ذلك فنحن ملوكُ العالم :
بيوتهم مغمورةٌ بأوراق المصنفات
وبيوتنا مغمورة بأوراق الخريف
في جيوبهم عناوين الخونة واللصوص
وفي جيوبنا عناوين الرعد والأنهار
هم يملكون النوافذ
ونحن نملك الرياح
هم يملكون السفن
ونحن نملك الأمواج
هم يملكون الأوسمه
ونحن نملك الوحل
هم يملكون الأسوار والشرفات
ونحن نملك الحبالَ والخناجر
والآن .
هيا لننامَ على الأرصفة يا حبيبتي .

أيها السجناءُ في كل مكان
ابعثوا لي بكلّ ما عندكم
من رعب وعويلٍ وضجر

أيها الصيادون على كل شاطئ
ابعثوا لي بكل ما لديكم
من شباكٍ فارغةٍ ودوار بحر

أيها الفلاحون في كل أرض
ابعثوا لي بكل ما عندكم
من زهورٍ وخِرَقٍ باليه
بكل النهود التي مُزّقت
والبطون التي بُقِرَتْ
والأظافر التي اقتُلِعَتْ
إلى عنواني . . في أي مقهى
في أيّ شارع في العالم
إنني أعدّ « ملفاً ضخماً »

www.akhawia.net

عن العذاب البشري
لأرفعهُ إلى الله
فور توقيعه بشفاهِ الجياع
وأهداب المنتظرين
ولكن يا أيها التعساءُ في كل مكان
جُلَّ ما أخشاه
أن يكون الله «أُميَّاً»

أيها السائح

طفولتي بعيدة . . . وكهولتي بعيده . . .
وطني بعيد . . . ومنفاي بعيد
أيها السائح
أعطني منظارك المقرَّب
علّني ألمح يداً أو محرمةً في هذا الكون تومي؛ إليّ
صورني وأنا أبكي
وأنا أقعي بأسمالي أمام عتبة الفندق
وأكتبْ على قفا الصورة :
هذا شاعرٌ من الشرق .

ضعْ منديلك الأبيضَ على الرصيف
واجلسْ إلى جانبي تحت هذا المطر الحنون
لأبوح لك بسر خطير :
اصرفْ ادلاّءك ومرشديك
والقِ إلى الوحل . . إلى النار
بكل ما كتبت من حواشٍ وانطباعات
إن أيّ فلاح عجوز

www.akhawia.net

يروي لك « بيتين من العنابا »
كل تاريخ الشرق
وهو يدرج لفافته أمام خيمته .

واجبات منزلية

وأنا في خريف العمر
والشيخوخةُ البيضاءُ بدأتْ تمسُّ جبيني
كالياسمين الدمشقي عند كل منعطف
من يُوليني اهتمامه ؟
أديري قرص الهاتف يا حبيبتي
واطلبي ، مزيداً من الرعب والعذاب
لم أعد أبالي
مستقبلي في قبري
وجمهوري الوحيدُ هو ظلي
في الطريق اليه
لا
اطلبي لي كوفيةً وعقالاً
وصحراء لا حدود لها
لأعودَ إلى الماضي
وأحضر ملفَّ دموعي ورقم خدي
لا
اعطيني هويتي ودفتر عناويني

www.akhawia.net

وجواز سفري
سأصفّها حول جبيني
وأجلس متربعاً وسط المدينه
كزعيم إحدى القبائل المتوحشه
وأبادلها بالخرز والمرايا الملونه
لا اغرسي كلابةً في شفتي السفلى
وجرّيني كالجثه النافقه
إلى ضواحي المدينه
ودحرجيني في أحد الوديان .
وإذا ما لمحك علمُ بلادي المختال
فوق ساريته
اعبري بسرعه
كالمَدين أمام حانوت مُدينِه .

بعد تفكير طويل

انزعوا الأرصفه
لم تعدْ لي غايةٌ أسعى إليها
كل شوارع أوروبا
تسكعتُها في فراشي
أجملُ نساء التاريخ
ضاجعتهنَّ وأنا ساهمٌ في زوايا المقهى

قولوا لوطني الصغير والجارح كالنمر
انني أرفعُ سبابتي كتلميذ
طالباً الموت أو الرحيل
ولكن
لي بذمته بضعةُ أناشيدَ عتيقه
من أيام الطفوله
وأريدها الآن
لن أصعدَ قطاراً
ولن أقول وداعاً
ما لم يُعِدْها إلي حرفاً حرفاً

www.akhawia.net

ونقطة نقطه
وإذا كان لا يريد أن يراني
أو يأنف من مجادلتي أمام المارة
فليخاطبْني من وراء جدار
ليضعها في صُرّةٍ عتيقةٍ أمام عتبه
أو وراء شجرة ما
وأنا أهرعُ لالتقاطها كالكلب
ما دامت كلمة الحرية في لغتي
على هيئة كرسيٍّ صغيرٍ للاعدام .
قولوا لهذا التابوت الممدد حتى شواطئ الأطلسي
إنني لا أملكُ ثمن المنديل لأرثيه
من ساحات الرّجم في مكه
إلى قاعاتِ الرقص في غرناطه
جراحٌ مكسورةٌ بشعر الصدر
وأوسمةٌ لم يبقَ منها سوى الخطافات
الصحارى خاليةٌ من الغربان
البساتينُ خاليةٌ من الزهور
السجون خالية من الاستغاثات
الأزقة خالية من المارة
لاشيء غير الغبار
يعلو ويهبط كثدي المصارع
فاهربي أيتها الغيوم
فأرصفةُ الوطن
لم تعد جديرةً حتى بالوحل .

كل العيون نحو الأفق

مذ كانت رائحةُ الخبز
شهيةً كالورد
كرائحة الأوطان على ثياب المسافرين
وأنا أسرّحُ شعري كل صباح
وأرتدي أجمل ثيابي
وأهرع كالعاشقِ في موعده الأول
لانتظارها
لانتظار الثورة التي يبستْ
قدماي بانتظارها

من أجلها
أحصي أسناني كالصيرفي
أداعبها كالعازفِ قبل فتح الستار
بمجرّد أن أراها
وألمح سوطاً من سياطها
أو رصاصةً من رصاصاتها
سأضعُ يدي حول فمي

www.akhawia.net

وأزغرد كالنساءِ المحترقات
سأرمي على صدرها كالطفل المذعور
وأشكو لها
كم عذبني الجوع وأذلّني الإرهاب

وفي المساء
سآخذها إلى الحواري الضيقه
والريف المصدور
سأجلسُ وإياها تحت مصابيح الشارع
وأروي لها كل شيء
بفمي وأصابعي وعينيَ
حتى يدبَّ النعاس في أجفانها
وتغفو رويداً رويداً
كالجدّةِ أمام الموقد
ولكن
إذا لم تأتِ
سأعضُ شراييني كالمراهق
سأمدُ عنقي على مداه
كشحرورٍ في ذروة صداحه
وأطلبُ من الله
أن يبيدَ هذه الأمه .

في الليل

هناك نحلٌ . . وهناك أزهار
ومع ذلك فالعلقمُ يملأ فمي .
هناك طُرَفٌ وأعراسٌ ومهرجون
ومع ذلك فالنحيبُ يملأ قلبي .

أيها الحارسُ العجوزُ يا جدّي
أعطني كلبك السلوقي لأتعقّب حزني
أعرني مصباحك الكهربائي
لأبحث عن وطني .
من أزقة طويلة كسياط أجدادي
آتي إليك .
والاستغاثاتُ مصطفّةٌ في حنجرتي كالمجاذيف
لأشكوَ لك الغبارَ والجماهير
الليلَ والزهور والموسيقى
لأشكو لك ذلك الرصيف :
ما ان شرعت بقصتي
حتى انسل بين الأزقة كالأفعى

www.akhawia.net

وتركني وحيداً . . . وقدماي
تهتزان في الهواء كقدميّ المشنوق
ولذا جئتك مرفرفاً بيدي كالخفاش
لا أعرف أين أمضي هذه الليله
وكل ليله
الأرصفةُ التي أعبرها
تلفظُ خطواتي كالدواء المرّ
الجدران التي ألمسها
ترتعشُ تحت أصابعي كالشفاه قبل الزنير
أحسد المسمار
لأن هناك خشباً يضمُّهُ ويحميه
أغبطُ حتى الجثث الممزقة في الصحراء
لأن هناك غرباناً ترفرفُ حولها وتنعقُ لأجلها
آه يا جدي
لقد اشتقتُ للظلم للارهاب
للتعلّق بالأغصان بالشاحنات
للتمسّك بأيّ شيء
ولو بقضبان السجون

إنني لستُ ضائعاً فحسب
حتى لو هويتُ عن أريكتي في المقهى
لن أصل إلى سطح الأرض بآلاف السنين .

اليتيم

آه
الحلم . . .
الحلم . . .
عربتي الذهبية الصلبه
تحطمتْ ، وتفرّقَ شملُ عجلاتها كالفجر
في كل مكان
حلمتُ ذات ليلة بالربيع
وعندما استيقظت
كانت الزهورتغطي وسادتي
وحلمتُ مرةً بالبحر
وفي الصباح
كان فراشي مليئاً بالأصداف وزعانف السمك
ولكن عندما حلمت بالحريه
كانتِ الحراب
تطوّقُ عنقي كهالةِ المصباح .
. . . فلن تجدوني بعد الآن
في المرافئ أو بين القطارات

www.akhawia.net

ستجدونني هناك . . . في المكتبات العامه
نائماً على خرائط أوروبا
نومَ اليتيم على الرصيف
حيث فمي يلامس أكثر من نهر
ودموعي تسيل من قارة إلى قاره .

الوشم

الآن
في الساعة الثالثة من القرن العشرين
حيث لا شيء
يفصل جثثَ الموتى عن أحذيةِ المارة
سوى الاسفلت
سأتكئ في عرضِ الشارع كشيوخ البدو
ولن أنهض
حتى تجمع كل قضبان السجون وإضبارات المشبوهين
في العالم
وتوضع أمامي
لألوكها كالجمل على قارعة الطريق . . .
حتى تفرَّ كلُّ هراواتِ الشرطةِ والمتظاهرين
من قبضاتِ أصحابها
وتعود أغصاناً مزهرة «مرة أخرى»
في غاباتها
أضحكُ في الظلام
أبكي في الظلام

www.akhawia.net

أكتبُ في الظلام
حتى لم أعدْ أميّز قلمي من أصابعي
كلما قُرِعَ بابٌ أو تحرّكتْ ستاره
سترتُ أوراقي بيدي
كبغيٍّ ساعةَ المداهمه

من أورثني هذا الهَلَع
هذا الدم المذعور كالفهد الجبليّ
ما ان أرى ورقةً رسميةً على عتبه
أو قبعةً من فرجة باب
حتى تصطكُّ عظامي ودموعي ببعضها
ويفرّ دمي مذعوراً في كل اتجاه
كأن مفرزةً أبديةً من شرطة السلالات
تطارده من شريان إلى شريان

آه يا حبيبتي
عبثاً أستردُّ شجاعتي وبأسي
المأساةُ ليست هنا
في السوط أو المكتب أو صفارات الانذار
إنها هناك
في المهد . . . في الرّحم
فأنا قطعاً
ما كنت مربوطاً إلى رحمي بحبل سرّه
بل بحبل مشنقه .

النخاس

الاسم : حشره
اللون : أصفر من الرعب
الجبين : في الوحل
مكان الاقامة : المقبرة أو سجلات الإحصاء
المهنة : نخاس
البضاعة : رمال ذهبية وسماء زرقاء
عواصف ثلجيه
وشواطئُ متعرّجةٌ لا يحدّها البصر
لارهاقِ الملاحين ومصمّمي الخرائط

عندي غبارٌ للقرى
رمدٌ للأطفال
وحولٌ للأزقة
وحجارةٌ لصنعِ التماثيل وقمعِ المظاهرات

عندي آباء للتذمر
أمهاتٌ للحنين

www.akhawia.net

أرصفةٌ لبيع الزهور
وغاباتٌ لصنع السفنِ والقباقيبِ وسواري الأعلام

عندي ثلجٌ للعصافير
وخريفٌ للغابات
سعالٌ للأزقه
ونوافذُ عالية لمناداةِ الباعة ، للاستغاثات .
عندي كل شيء أيها السادة
نسور أعقاب سجاير
نشارة خشب
صفائح فارغه
وعندي . . . شعوب
شعوب هادئةٌ وساكنةٌ كالأدغال
يمكن استخدامها
في المقاهي والحروب وأزمات السير
أسرعوا أيها السادة
ها هو الليلُ يقترب
وعليَّ أن أنهي صفقتي
قبل غياب الشمس
أخرجوا محافظكم ولا تخيفنّكم أسعاري :
كلُّ الفتوحات العربيه
مقابل « سرير »
كل نجوم الشرق

مقابل عود ثقاب
لأهتدي إلى أقرب حصاةٍ
أو مسمارٍ في هذا الوطن
أغرسه في صدري كمنقار البجعه
وأموت .

www.akhawia.net

الخوف

أمي . . .
يا ذات النهد الملون كالأكواخ الافريقيه
أسرعي لنجدتي
تعالي وخبئيني في جيبكِ الريفي العميق
مع الابرِ والخيطان والأزرار
فالموتُ يحيق بي من كل جانب
السماءُ تظلم
والريحُ تصفّر
والكلابُ السوداء
تنهشُ الكتب الدامية من حقائب الماره
وأخشى في هذه الأيام المكفهره
أن أستيقظ ذات صباح
فلا أجدُ طائراً على شجره
أو زهرةً في جديله
أو صديقاً في مقهى
أن أوثقَ ذات صباح
إلى المغسلة أو عمود المدفأه

ليدرزني الرصاص
والفرجون في فمي .
أتوسل إليك أن تسرعي يا أمي
وأن تعرّجي في طريقك
على الحصادين ومضارب البدو
وتسأليهم عن « حجاب » جلديّ
عن « عشبة » ما
تقيني هذا الخوف :
أدخلُ إلى المرحاض وأوراقي الشبوتيةُ بيدي
أخرج من المقهى وأنا أتلفّتُ يمنةً ويسرة
حتى البرغم الصغير
يتلفت يمنة ويسرة قبل أن يتفتّح

آه يا أمي
لو أن هتلر بقي رساماً
وماركس قضى في خناق الطفوله
لو أن لويس السادس عشر
كان أكثرَ فحولةً وبطشا
وماري أنطوانيت أقلّ فتنة وكبرياء
لو كانت قلاع الباستيل على ذرى قاسيون
ووحل باريس على أرصفة دمشق
لو كان الشرق هشيماً
والريحُ أكثر قوةً وذكاء

www.akhawia.net

عندما احترقت روما
آه يا أمي
لو كانت الحرية ثلجاً
لنمت طوال حياتي بلا مأوى

مسافر عربي في محطات الفضاء

أيها العلماءُ والفنّيون
أعطوني بطاقة سفر إلى السماء
فأنا موفدٌ من قبل بلادي الحزينه
باسم أراملها وشيوخها وأطفالها
كي تعطوني بطاقة مجانيةً إلى السماء
ففي راحتي بدل النقود . . . «دموع»

لا مكان لي ؟
ضعوني في مؤخرة العربه
على ظهرها
فأنا قروي ومعتادٌ على ذلك .
لن أؤذي نجمه
ولن أسيءَ إلى سحابه
كل ما أريده هو الوصول
بأقصى سرعةٍ إلى السماء
لأضع السوطَ في قبضة الله
لعله يحرّضنا على الثوره .

www.akhawia.net

الى بدر شاكر السياب

يا زميل الحرمان والتسكع
حزني طويلٌ كشجر الحور
لأنني لست ممدّداً إلى جوارك
ولكنني قد أحلُّ ضيفاً عليك
في أية لحظه
موشحاً بكفني الأبيض كالنساء المغربيات

لا تضعْ سراجاً على قبرك
سأهتدي إليه
كما يهتدي السكّير إلى زجاجته
والرضيعُ إلى ثديه
« فعندما ترفعُ قبضتك في الليل
وتقرعُ هذا الباب أو ذاك
وأنت تحملُ دفتراً عتيقاً
نُزِعَ غلافهُ كجناح الطائر
وأنت تسترجعُ في ذاكرتك المتعبه
هذه الجملةَ أو تلك

لتقصّها على أحبابك حول المصطلى
ثم تسمعُ صوتاً يصرخ من أعماق الليل :
لا أحدَ في البيت
لا أحد في الطريق
لا أحدَ في العالم
ثم تلوي عنقك وتمضي
بين وحولٍ آسنه
وأبواب أُغلقت بقوة
حتى تساقطَ الكلس عن جدرانها
وأنت واثقٌ أن المستقبل
يغص بآلاف الليالي الموحشه
والأصوات التي تصرخ
لا أحدَ في البيت
لا أحدَ في الطريق
لا أحدَ في العالم
هل تضعُ ملاءةً سوداء
على شاراتِ المرور وتناديها يا أمي
هل ترسم على عُلبِ التبغِ الفارغه
أشجاراً وأنهاراً وأطفالاً سعداء
وتناديها يا وطني
ولكنْ أيَّ وطنٍ هذا الذي
يجرفه الكناسون مع القمامات في آخر الليل ؟ »
تشبَّثْ بموتك أيها المغفل

www.akhawia.net

دافعْ عنه بالحجارةِ والأسنان والمخالب
فما الذي تريد أن تراه ؟
كتُبك تباع على الأرصفه
وعكازُكَ أصبح بيد الوطن

أيها التَّعِسُ في حياته وفي موته
قبرُكَ البطيءُ كالسلحفاة
لن يبلغَ الجنّة أبداً
الجنَّةُ للعدّائين وراكبي الدراجات .

كالزنجي النائم ورمحه بيده
أمكث في هذه الأدغال الحجريه
بانتظار شيء ما
فهل أجدُ في غاباتِ روحك العذراء
غصناً متواضعاً
لطائر جريح اسمه . . . قلبي ؟ ؟
سأكسوك بالقُبَلِ كالأضرحه
كالشجرةِ في الربيع
وبين كل قبلة وقبلة
سأنظر شاكراً وممتنّاً إلى السماء
كعصفورٍ ظمآنَ يشربُ من آنيه .
سأدفنُ وجهي بين نهديك الحنونين
وأصرخُ كبدوي ينادي قبيلته

أيتها الحمامةُ التي تزورني
وجناحاهامعقودان كشريطةِ المدرسه
كفاك تحديقاً في راحتي

www.akhawia.net

بحثاً عن خطوط العمر والحظّ والمستقبل
لقد امَّحتْ كلُّها من حمل الحقائب
وشد القلوع في . . «الأحلام»
وعبثاً تتقصين أسرارحزني
من اضبارتي المدرسية
أو رفاقي في المقهى
فحزني لا حسبَ له ولا نسب
كالأرصفه
كجنين وُلِدَ في مبغى

رسالة إلى القرية

مع تغريدِ البلابل وزقزقة العصافير
أناشدُك الله يا أبي :
دعْ جمع الحطب والمعلومات عني
وتعالَ لَملمْ حطامي من الشوارع
قبل أن تطمَرني الريح
أو يبعثرني الكناسون
هذا القلم سيوردني حتفي
لم يتركْ سجناً إلا وقادني إليه
ولا رصيفاً إلا ومرَّغني عليه
وأنا أتبعه كالمأخوذ
كالسائر في حلمه

في المساء يا أبي
مساء دمشق البارد والموحش كأعماق المحيطات
حيث هذا يبحثُ عن حانه
وذاك عن مأوى
أبحث أنا عن «كلمة»

www.akhawia.net

عن حرف أضعُهُ إزاء حرف
مثلَ قِطٍّ عجوز
يثبُ من جدار إلى جدار في قرية مهدمه
ويمو، بحثاً عن قطته
ولكن . . أو تظنني سعيداً يا أبي ؟
أبداً
لقد حاولت مراراً وتكراراً
أن أنفضَ هذا القلم من الحبر
كما يُنْفَضُ الخنجر من الدَم
وأرحل عن هذه المدينه
ولو على صهوةِ جدار
ولكنني فشلت
ان قلمي يشمُّ رائحة الحبر
كما يشمُّ الذكر رائحة الأنثى
ما ان يرى صفحةً بيضاء
حتى يتوقَّف مرتعشاً
كاللص أمام نافذةٍ مفتوحة
أنام
ولا شيء غير جلدي على الفراش
جمجمتي في السجون
قدماي في الأزقة
يداي في الأعشاش
كسمكة « سانتياغو » الضخمه

لم يبقَ مني غير الأضلاع وتجاويف العيون
فاقتلعنيْ من ذاكرتك
وعدْ إلى محراثك وأغانيك الحزينه
لقد تورطتُ يا أبي
وغدا كلُ شيء مستحيلاً
كوقفِ النزيف بالأصابع .

www.akhawia.net

شتاء

كالذئاب في المواسم القاحله
كنا ننبشُ في كل مكان
نحبُّ المطر
ونعبدُ الخريف
حتى فكرنا ذات يوم
أن نبعث برسالة شكر إلى السماء
ونلصق عليها
بدل الطابع . . ورقة خريف
كنا نؤمن بأن الجبال زائله
والبحار زائله
والحضارات زائله
أما الحب فباق . .
وفجأة : افترقنا
هي تحبُّ الارانك الطويله
وأنا أحبُّ السفن الطويله
هي تعشق الهمس والتنهداتِ في المقاهي
وأنا أعشق القفز والصراخ في الشوارع

ومع ذلك . .
فذراعاي على امتداد الكون
بانتظارها . . .

www.akhawia.net

الغابة

مغربيةٌ كلماتُ الوداع
مغربية . . مغربية كزجاجة السُّم
في راحةِ القائد المنهزم
ولكنها قاضيةٌ يا حبيبتي
إنها تضربُ رأسي
كما تضربُ الحِمَمُ جدار البركان
أقول ذَهَبَتْ
فلتذهبْ
ليست أكثرَ خلوداً من المذابح والحضارات
ولكن
كلماحزمتُ أمتعتي وحاولت الفرار
يقبضُ عليَّ حبُّك كذراع الميت
كالستائرِ الغامضة في أفلام الرعب .

من أغلق كل هذه الأبواب والنوافذ
وترك دمي وحيداً في العراء
ينبح كجروٍ أحمرَ في أزقةِ العروق البشرية ؟

أنت .
من كسى جلدكِ بالقبلات
وزيَّنه كالستائر الأندلسية
بالشعرِ والدموعِ وطعناتِ السياط ؟
أنا .
أنا وأنت يا حبيبتي
حطّابان مقروران في غابة بائسة
كل منهما يحمل فأساً قاطعه
كحد السيف
ويهوي عليها شجرة بعد شجرة
وغصناً بعد غصن
دون أن ندري
أن هذه الغابة هي . . « حبنا » .

www.akhawia.net

الفائض البشري

أنا الذي لم أقتل حتى الآن
في الحروب أو الزلازلِ أو حوادثِ الطرق
ماذا أفعل بحياتي ؟
بتلك السنوات المتماوجةِ أمامي
كالبحر أمام البجعه ؟
بعد أن ذهبتْ زهرةُ كلماتي
على الرسائل وطلبات الاسترحام
ورُسم مستقبلي
كما تُرسم البطة على لوح المدرسه
هل أعبّرُ عن أحلامي
بالهمس واللمس كالمكفوف ؟
أم أتركها تسيل على جوانب رأسي
كصمغ الأشجار الاستوائيه ؟
أيتها النوافذ
قليلاً من هواء الغابات
انني أختنق
ورئتاي جاحظتان خارج صدري

كعَيْنَيْ اليتيم
وصوتي ضالٌّ كالرعد
لا يعرف أجيالاً مقبلة ينشدها
ولا فماً قديماً يعود إليه .
أيها البناؤون ادعموني بحجر
إنني أتصدع
كالجدران التي خالطها الغشّ
أنهار
كالقمم الثلجيةِ تحت شمس الربيع
آه
لو يتمُّ تبادلُ الأوطان
كالراقصاتِ في الملهى .

www.akhawia.net

حتى الأغصان ترتجف

كالغربانِ المولية الأدبار
سأصرخ يا حبيبتي
إذا لم تعطيني سراجك في الليل
وذراعك في الشيخوخه
وسريرك في الزمهرير
ولقمتكِ في المجاعات

سأحشو مسدسي بالدمع
وأملأ وطني بالصراخ
اذا لم تعطيني جناحاً وعاصفه
لأمضي
وعكازاً من السنونو
لأعود
حتى الأغصان العالية ترتجف
عندما أنظر إليها وأبكي

آه لو أن الأيام المتواليه
تنال من روحي وأصابعي وعيني
ما تناله السكين من الثمره
والخريفُ من الأغصان
لأمسي طفلاً صغيراً بطول المدفأه
لأحرق العالم
وأصنع من رماده
كفناً لدراجة صغيره أعرفها
مزماراً حزيناً لوطن قديم أعبده
ثلاثين عاماً
لم أهزَ دميه
لم ينهرني جدّ
لم أتشبثْ بملاءه
لم أبكِ في زقاق
ثلاثين عاماً
لم أرَ علم بلادي مبللاً بالمطر
وأنا أنفخُ راحتي في الزمهرير
وأغني : موطني . . . موطني . . .

www.akhawia.net

بكاء السنونو

إلى : ن.ح

يا من طعنتماني في الظهر
وأنا مكبٌّ على أوراقي
كالشيخ فوق سجادته
الذئبُ والأفعى لن يكونا أبداً
حمامتين تحت المطر
المطر لي
المطر والرعد والريح والشوارع
هي ملكي
ومعي وثيقةٌ من السماء بذلك
أحقاً سرتما تحت المطر
وعلى أرصفتي وفي شوارعي ؟
إذن لن أحبَّ المطر بعد اليوم
لا المطر ولا الريح ، ولا القمر ولا الصخور
سأحب شعبي . . .
يا شعبي احتضني
أنت الأبُ الحكيم
وأنا الطفلُ الضالّ

أنت السيلُ الجارف
وأنا الكوخ المتداعي
أعطني فرصة أخيرة وانتظر
سأحبُّ عمالك وفلاحيك
سأعتزُّ حتى ببغاياك وأوحالك
وأطلي بها جبيني كالهندي المحارب
سأقف جامداً كالتمثال عند تحية العلم
وأصرخ كالمجنون في المظاهرات
ولكن لا تقسُ عليَّ يا شعبي
هجرتُك لأنك هجرتني
تجاهلتُك لأنك تجاهلتني
ولكنني أقسم بكل جليلٍ ومحرّم
ما نسيتُك في يوم من الأيام
وأنا غارق في الهموم والنقاشات
عن السأم والأزياء الفاضحه
كنت أفكّر بخرافك الهزيله
ومرضاك المكدسين في الممرات .
وأنا أشعل اللفائف للمدعوين
وأقهقه ساخراً في الحفلات
كنت أفكر بقراك الموحله
وعجائزك المترنحات على ضوء القناديل
هيّا . .
كلانا أساء للآخر
لنجرحْ أصابعنا كيفما اتفق

www.akhawia.net

وليشربْ كلٌّ منا قطرةً من دم الآخر
ولنتآخى
لنخلط دموعنا وهمومنا كالنقود المسروقه
ولنمضِ وحيدين
ضدّ الزمن ضد العاصفة
والندوب تتحرك على جباهنا
كعقارب الساعات . . .

العضبة

لا تصفعْني أيها القدر
على وجهي أمتارٌ من الصفعات
ها أنا
والريح تعصف في الشوارع
أخرج من الكتب والحانات والقواميس
خروجَ الأسرى من الخنادق .

أيها العصرُ الحقير كالحشره
يا من أغريتني بالمروحةِ بدل العواصف
وبالثقاب بدل البراكين
لن أغفر لك أبداً
سأعود إلى قريتي ولو سيراً على الأقدام
لأنثر حولك الشائعات فور وصولي
وأرتمي على الأعشاب وضفاف السواقي
كالفارس بعد معركة منهكه
بل كما تعبر الكلابُ المدربة حلقاتِ النار
سأعبرُ هذه الأبواب والنوافذ

www.akhawia.net

هذه الأكمام والياقات
محلقاً كالنسر
فوق حفر العذارى وآلام العمال
باسطاً جناحي كالسنونو عند الأصيل
بحثاً عن أرض عذراء
كلما لامسها كوخٌ أو قصر
أميرٌ أو متسول
وثبتْ جامحةً في الهواء
كالفرس الوحشية اذا مسَّها السرج .
أرض .
لم توجد ولن توجدَ إلا في دفاتري .
حسناً أيها العصر
لقد هزمتني
ولكنني لا أجد في كل هذا الشرق
مكاناً مرتفعاً
أنصبُ عليه راية استسلامي .

ذكرى حلان أليم لم يقع

فيما كنت أتسكَّعُ تحتَ الأشجار المزهرة
مع مذكراتي وغليوني
كبطلٍ عجوزٍ يتريَّض في منفاه
لمحتُهم يهرولون في العواصف الثلجيه
نصفهم معاطف
ونصفهم عباءات
يرشقون الوحل بنعالهم كالرصاص
وكل منهم يشيرُ أصابعه فوق رأسه
ويصرخ :
النجدة . . النجدة
أنا دفتر
أنا ثانر
أنا كاتب عدل
أنا هاتف
أنا ساعي بريد
وأنا أجثم على جدران المدينه
كسلَّم الحريق

www.akhawia.net

وسيفي مغروس حتى قبضتِه
في نخاع الباستيل .

مروحة السيوف

في المدن يستعملون المراوحَ والمرطبات
أما في الصحراء ، فماذا يفعلون
غير انتظار العاصفة ؟
ولكن أين العاصفة ؟
لا القلوعُ البيضاء تعرف
ولا الراياتُ الذابلةُ على التلال
أن العاصفةَ هناك
مترددةٌ وراء الأفق البعيد
كالبغيّ أمام عتبةِ الفندق
والنسرُ العجوز
آخرُ نسرٍ في التاريخ
ينتظرها وحيداً وصامتاً كالحوذي
امضِ إليها أيها النسر العجوز
وكفاك تذوقاً
لفضلاتِ السُحُب والعواصف الغابره
كالطاهي القديم
فالعاصفةُ قد لا تنهي زينتها قبل أجيال

www.akhawia.net

ولكن كيف يمضي إليها
ومنقاره مهترئٌ كإبهام الحذّاء
كيف يسرع
وهو يترنح كدراجةٍ تعبر النهر .

عاماً بعد عام
والريشُ الأبيض يتّسخ على صدره
كفُوَط الخدم
جيلاً بعد جيل
والنسيماتُ الصغيرة تدفعه
من صخرةٍ إلى صخره
ومن سهلٍ إلى آخر
وهو مشيحٌ عنها ، مستسلم لها
كبغيٍّ في معسكر
انه يحنُّ إلى معركةٍ أخيره
مع القدر
مع العاصفة
مع «ذبابة»
بهذه المخالب المتآكله
والمنقار الذي كاد يستقيم
من كثرة ما ضربه على الصخور
في ساعات الذكرى :
فيما مضى

كان يفتلُ جناحيه كالآبّ الشرقي
يفتحهما كالأكمام الريفية المطرزه
ويهيمُ فوق المدن والقارات
بينما السُحُبُ والعصافير الصغيره
تركض وراءه لاهثةً
كالغوغاء في مواكب الملوك .
فيما مضى
فيما مضى
أما الآن
فلا شيء
غير الأسى والذكريات .

كنس الغبار بجناحيه المتعبين
وربضَ تحت النعوسج الذابل
كقاطع الطريق
موقناً أن العاصفةَ ستأتي
وأن أسنانها الغازية
سوف تلمعُ عما قريب
كأضواء السُفُن ومشاعل الثورات
وقد صمَّم على المعركة
بكل هزاله وأنقاضه
حيث الصحراء مقفره
والمعركة بلا هتاف أو شهود

www.akhawia.net

وطال انتظاره في الهجير
وفيما هو يكبو رويداً رويداً
كمسافر عجوز على طريق وعرة
ومخالبه تسيل كالحلوى الرخيصة على الرمال
مرّت به نسمةٌ باردة كالينبوع
فتنهّدَ منتشياً
كالمراهقِ وقد مسّته امرأة
وتابع الرقاد من جديد . .
تحت شمسٍ لاهبة
وعزلةٍ طويلة كالدهر .
وفجأة أظلم الأفق
وتمايلت العوسجة
وارتفع الذيلُ المتسخ بالعرق والدم
وانطلق الذبابُ الدفينُ في الجراح
مدوّماً لا يلوي على شيء
فانتفض قلبه من الفرح
وأخذ يقفزُ هنا وهناك
كخروفٍ يسعى لملاقاة أمه
العائدة من المرعى
لقد أقبلت :
سريعة ومدوّمة كراقصةٍ على الجليد
قطار أحول من الطعنات
ينشد كبد الأرض للمرة الأولى

فليستفدْ من كل حبة رمل
وضربةِ مخلب
وليخرجْ من المعركة منتفخاً
فالعاصفة كالحصباء . . كموسيقى النصر
تأتي مرّةً واحدةً ولا تعود
والنسر بلا قمةٍ أو عاصفه
كالعروس بلا أقراط أو دموع .

فتح منقاره خلسةً كصيّاد القراشات
وتراجع بحذر واحترام
كتلميذ أمام أستاذه القديم
. . . وأنشبه في العاصفه
في الرمال . . في الدماء . . في المسارح
في القبلات المذعوره
والخواتم التي تحمل شعر السلاميات ،
في اللاشيء
وراح يدورُ كالمغزلِ وسط ريشه الممزّق
وصيحاتُهُ المدوّيةُ كطلقاتِ الرصاص
كتلةٌ من الدم والأبهه
تحاضر من وراء طاولة الصحراء
في فنّ العطش وتمزيق الأوصال
في الحلم الذي أتاه على طبقٍ من الهجير
خانقاً وحنوناً كالقبلات

www.akhawia.net

وقد آن لأجملِ أسير في التاريخ
أن يزدردَ خرزه الأحمر خارج الأقفاص
أن يضع السلالم على كتف العاصفه
ويقطف ثمار حزنه كالبستاني

ولكن العاصفة كانت تهزُّ كتفيها
كالراقصةِ الشرقيه
تتمنَّعُ عليه كالمومسِ المحترفه
أمام مراهقٍ غرّ
حتى إذا ما سنحتْ لها الفرصه
فتحتْ باب الأفق . .
وولّتْ الأدبار
فجُنَّ جنونه
وراح يثبُ كالهرّ
كطفل مذعور يحاول عبثاً
بلوغ مطرقة الباب
وهو يرى كل شيء ينحني ويميل
الشمس والرمال والجراح
والأفق إلى جواره مجوّف ومقزز
كالرحم بعد الولادة
ولحق بها مرغياً مزبداً
كسكير يحاول اقتحام الحانه
بعد أن طرد منها مئات المرات

ولكن دون جدوى
لقد أسدلت العاصفة ستائرها
وأغلقت سجل الزوّار
وهنا بكى النسر العجوز
ورفع مخاليه كالأصابع المتضرعه
وراح ينتحب كالأطفال .
وبعد آلاف الأميال
وبعد كل ذلك الزهو والبطش الجارف
هَوَتِ العاصفةُ على شاطئ البحر
ووجهها ممزق كوجه الملاكم
لقد أقفر الصدر من النهود والأوسمه
وجُرِّدَتِ العروسُ من الخواتم والمرايا
واتكأتْ على الصخور
كسكّيرٍ أمام مغسله
لقد كان في أعماقها ألمٌ مميت
أظافرُ صغيرةٌ وصيحاتٌ حاده
أخذتْ تنبعُ كالنمل
من ثقوبِ الأنفِ والأذنينِ والبلعوم
لترقصَ كالفجر
على ظهرها المقوس والرهيب كالجسر

من أين ينبعُ هذا الألم ؟
هذه الطعناتُ المشتعلةُ كنيران الأعراس

www.akhawia.net

من غطّى كفلها البربري
بهذه الجراح الغزيرة والندية كأهدابِ العاشق ؟
وفيما هي تكبو رويداً رويداً
كمذنب يعترف بكل شيء
تذكّرتْ أن ثمّة جداً قديماً
لكلّ هذه الجراح والآلام
كان ينبشُ أعماقها كالكنز
ثمة شيء صغير كالبرغوث
قاومَ وناضلَ حتى الموت
ولابدَّ أن كلَّ هذه الآلام القاتله
وهذا الريش والصيحات المتراكمه
على فوهاتِ الجراحِ
من ذلك الشيءِ الصغير كالبرغوث
وفجأةً انطرحتِ العاصفه على قفاها
كخيمةٍ كبيرةٍ بحجم العالم
ثم تقلّصتْ بحجم المنديلِ وماتتْ
ودموعُها تسيلُ على هيئة نسر .

www.akhawia.net